القصاب في اتخاذ القرارات والتخطيط، ورفض القسام منهجه المعتمد على العنف في معاقبة الطلاب، ورفض عبد الله تيمور الانصياع لرأيه في الحركة الكشفية الداعي الى الغائها. ولم يبق مع القصاب سوى رشيد بقدونس* (سوري)، عضو المجمع العلمي في دمشق وكان «ضعيف الشخصية، ولا يكاد يضبط الصف، ولكنه كان عالماً، وله مؤلفات في التاريخ والجغرافيا، بالاضافة الى قاموس عسكري»[١٧]؛ وسعيد الحاج ابراهيم، وهو «ابن أخ رشيد الحاج ابراهيم وكان يعلم الانكليزي والمحفوظات والاملاء لست سنوات»[١٨]**.

جامع الاستقلال ١٩٢٥ ــ ١٩٣٥

تولى الشيخ عز الدين القسام الإمامة في جامع الاستقلال*** منذ تأسيسه عام ١٩٢٥، عن طريق «الجمعية الإسلامية» في مدينة حيفا، وليس للمجلس الإسلامي وللحاج أمين أية علاقة بهذا التعيين. وبسنوات قليلة، أصبح المسجد، من أكثر مساجد المدينة شهرة ويؤمه المصلون من مختلف أنحاء القضاء. ولم يكن القسام مجرد واعظ يرشد الناس الى فروض الطاعة وقصص الأقدمين، بل كان أبرز الأئمة بعداً عن التزمت المغرق بالصوفية أو الرجعية، وأكثرهم يسراً في مزج العبادة بالواجب الوطني. وغدت دروسه، بعد صلاة العصر وخطب يوم الجمعة، مدرسة تتسع لأبناء الريف والمدينة، وحلقة من حلقات التثقيف بالمسؤولية ازاء الاستعمار. وكانت بنظر الكثيرين من مريديه، اعلان رأي الدين في ما يجري من شؤون السياسة والحياة، وتحديد الموقف الحق أمام المؤمن الحقيقي. فعلى خلاف غالبية الأئمة، لم يستخدم القسام منبر خطبة الجمعة، للهروب مما يجابهه الشعب في معركته الوطنية، الى طقوس العبادة. بل، على العكس تماماً، استثمر المنبر المفتوح، لأكثر الأحاديث جرأة في التحريض والتعبئة، وحض المؤمنين على القتال، حتى استحق، بجدارة، لقب «داعية للجهاد».

وللوقوف على حقيقة هذا الدور، في خطب الجمعة ودروس ما بعد صلاة العصر، لا تستقيم قراءة القسام الا في ضوء شخصيته القيادية المتكاملة، الشخصية التي تمزج مزجاً فاعلاً وحياً بين الدعوة الثورية وبين الممارسة الثورية، حتى تغدو «مدرسة جامع الاستقلال» حقيقة ملموسة، لا افتراضات ذهنية. وفي هذا الاطار، استخدم الشيخ عز الدين القسام عمله، كإمام في جامع الاستقلال، لتحقيق ثلاثة أهداف في آن واحد: التحريض، التنظيم والتدريب.

---

* كان زميل الشيخ عز الدين القسام في الأزهر، ومن المؤكد انه جاء بعده الى حيفا، لأنه هو الذي رتب له جواز سفره المزور في دمشق.

** يعتقد ابراهيم السهلي ان مدراء مدرسة البرج الإسلامية كانوا على التوالي: رشيد بقدونس، الشيخ كامل القصاب، أحمد سعيد مراد (محمد سعيد ديب)، أحمد عبد القادر الحاج. ويصادق سليمان ابو حمام وأكرم زعيتر على ان رشيد بقدونس كان أول مدير للمدرسة.

*** يقول الشيخ محمد نمر الخطيب ان المسجد بني على قطعة من المقبرة القديمة، وخصص طابقه الأرضي للمخازن، وجعل المسجد في طابقه الثاني. وسمي الاستقلال تفاؤلاً بالاستقلال.